

ستراتيجية النسيان

- مراجعة نقدية لأقصاء المرأة فلسفيا -

د. باقر ابراهيم الزيدي

جامعة واسط - كلية الاداب - قسم الفلسفة

" هؤلاء النساء هن لسن نساء على هامش الفلسفة، بل هن فيلسوفات على هامش التاريخ "

ماري الين ويث - تاريخ الفيلسوفات . ج ١.

ملخص البحث :

يحاول البحث ان يقدم اجابة عن السر وراء غياب المرأة عن تاريخ الفلسفة حضورا ومشاركة ، واقصد بتاريخ الفلسفة هذه المدونات الكبيرة التي تؤرخ للفلسفة في مختلف عصورها ومراحلها ، وليس البحث عن لماذا غابت المرأة فعليا عن النشاط الفلسفي ، لان هذا وهم كبير اذ يبين البحث ويكشف عن مشاركة واسعة وجدية للمرأة في مختلف حقول الفلسفة ، وان السر يكمن في ان هناك استراتيجية تواضع عليها الرجال من الفلاسفة او من مدوني تاريخها على استبعاد النساء ، انه تحيز رجولي محض يكشف عن آلية للهيمنة والسيطرة اكثر مما يدين للموضوعية وشروط البحث العلمي .

Abstract:

the research attempts to provide an answer to the secret behind the absence of women from the history of philosophy presence and participation, and I mean the history of philosophy these large blogs that chronicle the philosophy of different ages and stages, and not search for why women actually absent from the philosophical activity, because this is a great illusion as the search reveals and reveals And the secret lies in the fact that there is a strategy of humility on the part of men philosophers or historians of the history of the exclusion of women, it is a purely masculine bias reveals a mechanism of domination and control more than the objectivity of the objectivity and conditions of scientific research.

هناك افتراض شائع جدا ولوقت قريب هو : ان مشاركة المرأة في حقل الفلسفة ضئيل جدا او معدوم ، على الاقل كان هذا الفرض كان متداولاً بكثرة قبل القرن العشرين . على الرغم من ادراكنا ان المعايير "التاريخية " للفلسفة - حالها حال المعايير التاريخية للفن - هي معايير اعتباطية الى حد كبير ، هي معايير مصطنعة وليست معطاة لنا ، ولكنها ترسخت بالممارسة الايديولوجية التي جعلتها تدعي انها متمشية مع "طبيعة " الاشياء . لذا فأنا نستطيع القول وبكل جرأة ان هذه المعايير متحيزة الى حد كبير في استبعادها مشاركة المئات من النساء في كلا الميدانين .

والعمل الذي يركز عليه هذا البحث وهو استعراض ومناقشة لكتاب باحثة امريكية جادة ، يحاول ان يصصح هذا الموقف الخاطئ ، والخروج من تحت وطئة هذا التقليد الثقيل والطويل ، معرّيا هذه المعايير من "طبيعتها " المزعومة ، اي انه يقوم بـ De-Naturalization - اي تجريد وتعرية الاشياء من طبيعتها المدعاة . فليس هناك ماهو طبيعي ، في اي مكان فليس هناك الا ماهو تاريخي . على حد قول (رولان بارت)
وانا اتسأل انه من الغريب حقا احجامنا عن السؤال طوال دراستنا للفلسفة او تدريسها عن مبرر غياب المرأة من هذا التاريخ الطويل ، من هذا الميدان الفكري الواسع ، الى الحد الذي اصبحت معه كلمة فيلسوفة تبدو غريبة علينا سواء في الكتابة اوحتى عند سماعها .

فقد اعتدنا -او الاصح هكذا عودونا وانا هنا لادين جما عة محددة بعينها ، بل الى الممارسة - ان ننظر للفلسفة باعتبارها فعالية رجالية صرفة . وميدان لا يسمح باللعب فيه لغير الرجال . لكن الامر لم يعد كذلك الان .

اذ شهدت العقود الثلاثة الماضية او اكثر قليلا ، شهدت مراكز الثقافة العالمية انفجارا غير مسبوق في طبيعة وحجم المؤلفات الصادرة للجاباة عن هذا التساؤل . ليس في حقل الفلسفة فقط ، بل وبالتوازي مع بقية حقول المعرفة مثل : التاريخ والادب ، والفن ، والطب . وطبعا ليس المقصود غيابها الان في عالمنا المعاصر ، بل غيابها تاريخيا ، بكلمة اخرى حين يتم تدوين تاريخ هذه الحقول المعرفية نجد ان هناك غيابا مربيا للمرأة عنها ، واتضح لعديد الباحثين والباحثات ان المرأة غيببت من هذه التواريخ ولم تكن غائبة بشكل ارادي . وكانت الاعمال التي صدرت لمعاجة هذه المواضيع كانت بطريقة او باخرى تنهج نهجا نقديا جذريا للتقاليد المتبعة في تدوين تواريخ هذه الدراسات .

لقد اصبح من الطبيعي الآن ان نسأل عن سر هذا الغياب عن حقل الفلسفة - دون ان نتجاهل بقية الحقول بالطبع لكن كون الفلسفة هي ميدان اختصاصي فأن البحث سيقصر عليها - ويصبح السؤال اكثر الحاحا بالنسبة (للفيلسوفات) الان - لاحظ عزيزي القارئ كم يبدو غريبا وقع كلمة فيلسوفات لمن اعتاد ان يقرأ كلمة الفلاسفة طوال حياته فقط - اذ ان مشاركتهن الحالية في الميدان الفلسفي - وبالاخص في اوربا وامريكا - كبيرة وواسعة الامر الذي استدعى مراجعة او اعادة تشكيل وقراءة شاملة لتاريخ الفلسفة ، وكذلك مراجعة المعايير المتبعة في تدوينها .

ان (الفيلسوفات) سواء في اوربا او امريكا مهتمات الآن اكثر من اي وقت مضى بنقد هذه المعايير الراسخة والراوحة لقرون في تصنيف طبيعة النشاط الفكري للبشر ، والتي على اساسها كان يعد فكريا ما فكريا فلسفيا واخر لا . لقد احدث وجهة النظر النسوية هذه تحولا كبيرا في طرائق تفكيرنا حول الثقافة والفن والمعرفة . وقد سجلت ملاحظتين حول طبيعة هذه المعايير :

الاولى :- هي الاقصاء التاريخي اللواعي للمرأة من هذا الحقل ، فقد واجهت الفيلسوفات او بالاحرى اصطدمت بالاعتقاد الراسخ بانه لا توجد فيلسوفة بمعنى الكلمة ، وحتى ان كانت هناك ، فأنها غير مهمة ..

والثانية :- هو ان الفلاسفة كانوا دائما لديهم الكثير مما يقولونه عن المرأة ، وما هن ، وما هي طبيعتهن . ونجد المفاهيم الفلسفية مثل "العقل" و "الموضوعية" تعرف عادة كمقابل "للمادة" او في تناقض معها "واللاعقلانية" كانت دائما تعرف من خلال ارتباطها بالمرأة لانها عاطفية وبالتالي غير قادرة بالوفاء بشرط التفلسف الاساسي وهو العقلانية والموضوعية .

ان تقاليد الفلسفة والفلاسفة كانت تخبرنا ولو بشكل ضمني بأن الفلسفة هي نشاط عقلي وموضوعي وبالتالي فانها تتضمن استبعادا لكل ما هو خاص بالمرأة او مرتبط معها . - تذكر عزيزي القارئ المقولة الشائعة جدا في حضارتنا الاسلامية ، ان المرأة ناقصة عقل - الفرق هو ان حضارتنا صكت هذه المقولة لاسباب دينية . في حين ان الحضارة الغربية بررت فلسفيا .

وكردة فعل تجاه هذا الامر فان فيلسوفات المساواة بين الجنسين كان انتقادهن ذو شقين .

الاول: ضد الاستبعاد والاقصاء التاريخي من جهة .

والثاني: ضد النظرة السلبية لشخصية المرأة السائدة طوال تاريخ الفلسفة .

انه انتقاد يرتبط بمنهج مابعد الحداثة بكل تأكيد ، المنهج الذي يحاول ان يعري الاشياء - المزعومة او من طبيعتها - De-Naturalization المفترضة . وهو مايقودنا

الى رفض هذه الموضوعية المدعاة من جانب الفلاسفة في كل مؤلفاتنا واعمالنا ، اذ يغدو كل ماموجود لدينا ماهو الا انشاء في انشاء ، وتأويل في تأويل وتحيزات توظف طريقة تمثلنا للعالم والاشياء ليس الا .

ومن الاصدارات المهمة في المشاركة في هذه المراجعة او اعادة القراءة لتاريخ الفلسفة هو صدور كتاب الباحثة الامريكية (ماري ايلين ويث - Mary Ellen Waithe) الضخم الذي يقع في اربعة اجزاء .

(تاريخ الفيلسوفات - History of women philosophers - A) صدر الجزء الاول منه سنة - ١٩٨٧ وبالتعاون مع مجموعة من طلابها . " ١ "

وهو بحث موسوعي ضخم و مدهش وغاية في الاهمية - وذلك حسب وصف مجلة هباشيا - Hapatia - الفلسفية حين احتفت بصور الكتاب وقامت باستعراض اهم محتوياته ، فضلا عن انها كرست العدد برمته لاشكالية المرأة والفلسفة من جوانبها المختلفة . " ٢ "

لانه فضلا عن شموليته وموسوعيته فانه اقتحم حقلا معرفيا لم يذشن حينها بشكل واسع ، وعد صدور هذا الكتاب مشاركة مهمة في زحزحة المقولة القارة في الازهان باعتبار الفلسفة نشاط مارسه الرجال منذ بدنها واستمر هكذا طوال تاريخها . وبعد صدور الكتاب فتح الباب واسعا لبحوث اخرى كثيرة ، ومؤخرا قامت اليونسكو باصدار مجلة باللغتين الفرنسية والانكليزية بأسم " الفيلسوفات " وهي متوفرة على شبكة الانترنت . اعترافا منها بالمشاركة الفاعلة للمرأة في هذا الميدان الفكري .

والحقيقية ان جل المعلومات في هذا البحث مستقاة من هذا الكتاب وخصوصا الجانب الاحصائي منه . والكتاب متوفر على شبكة الانترنت - ليس مجانا - واعيد طبعه سنة ٢٠٠٨ .

لقد كشفت "ماري ايلين" في كتابها عن مساهمة نسائية لا يستهان بها ، بل وفقا للاحصاءات المقدمة في الكتاب يمكن ان نقول انها كبيرة ، هذه المساهمة تم تجاهلها عمداً من قبل مؤرخي الفلسفة او واضعي موسوعاتها . وانا اقول مساهمة لان الكتاب احصى كل من قامت بنشاط له علاقة بالفلسفة حتى وان كان ضئيلا ، لكن المهم هو انه صادر عن امرأة .

ولكن يجب ان ننتبه الى ان العمل يفرق بين ثلاث مجموعات من النساء تفصل بينهن مسافة يجب ان تاخذ بنظر الاعتبار عند الحديث عن الموضوع وهي : (الفيلسوفات - Women Philosophers) ، (فيلسوفات المساواة بين الجنسين - Feminist Philosophers) و (النسويات - Feminist) .

وعمل ميرى ايلين يهتم بالمجموعة الأولى ، فهو لم يلتفت الى النساء المناديات بالمساواة بين الجنسين (Feminist philosophers) ولا اللواتي كتبن الفلسفة او غيرها من حقول المعرفة كالادب مثلا بنغمة أنثوية (Feminist) تختلف عن طريقة تناول الفلاسفة لها . بل هو يهتم باللواتي تناولن الفلسفة بنفس الطريقة والعمق التي تناولها بها الفلاسفة ، فقد تعاملن مع مشكلات الفلسفة التقليدية مثل (الاخلاق) أو (الميتافيزيقا) أو (الابستمولوجيا) أو غيرها من حقول الفلسفة بنفس العمق والأحتراف . اي انها مهتمة بالفيلسوفات – Women philosopher

وترى المؤلفة كأن هناك توطنا من نوعا ما حول اقضاء المساهمات التي شاركت بها المرأة في حقول الفلسفة المختلفة . بالرغم من ان كتاب تواريخ الفلسفة او واضعي موسوعاتها ليس غربيين عن هذا الحقل بل يعرفون كل دقائقه ، - او افترض انهم يعرفون هذه الدقائق - . والسؤال هو: ان كانوا هؤلاء الكتاب متبحرين بحقل الفلسفة فلم هذا التحيز الرجولي الواضح ضد المرأة. بحيث يتم استبعادها بهذا الشكل الفاضح ؟ تتسأل ميرى الن .

وأود ان اذكر هنا ان الباحثة الامريكية ميرى ايلين ليست مجرد باحثة طارئة تتعلق بأذيال الفلسفة ، بل هي فيلسوفة محترفة فكرا وعملا ، - واد هنا ان اذكر لمحة عن نشاطها الفلسفي وكما دونته هي في سيرة حياتها على موقعها في شبكة الانترنت . فهي حاليا استاذة كرسي الفلسفة في كلية الفنون الحرة والعلوم الاجتماعية . وايضا مديرة الدراسات النسائية في جامعة كليفلاند الحكومية .

و درست الفلسفة في اماكن كثيرة ومتنوعة ، اي انها وسعت من افق تدريس الفلسفة ولم يقتصر نشاطها على اقسام الفلسفة فقط . بل انها درست الفلسفة حتى في المعاهد الطبية و كليات طب الاسنان ، و درست الفلسفة لنزلاء المصحات النفسية ، وتقول : انها حتى تنجح في مهمتها هذه ، كان يتوجب عليها ان تعرف الكثير مما هو اساسي في هذه الحقول العلمية ، لذا فانها اصبحت مهتمة كثيرا بتاريخ الطب .

تقول انها تحاول ان تزرع في طلبتها حب التساؤل والفضول وبالاخص حول الاسئلة الفلسفية الاساسية : من نحن ؟ وماهي طبيعة الكون الذي نعيش فيه ؟ وماهي الخصوصية التي يتمتع بها الجنس البشري في هذا الكون ؟ وكيف يمكن لنا ان نقوم ونتصرف بالشكل الصحيح ؟ لانها ترى ان الفلسفة هي في الاصل تاريخ للاسئلة اكثر منها تاريخ للاجابة عن هذه الاسئلة .

وتقول ماري انها عادة ماتدير درسها الفلسفي بطريقة ديمقراطية فهي لاتملي المعلومات على طلبتها من موقع المتعالم بل المشارك لهم بذات السؤال ، والباحث عن اجابة ، وهي تعتقد ان هناك طريقتين لان ننتج فلسفة تتسم بالحيوية وتجذب اهتمام الآخرين .
الاولى : هو ان تدون افكارك كتابيا .

والثانية :هي ان توصل افكارك شفاهيا.

لذ فان طلبتي المتخوفين من الطريقة الاولى شجعتهم على اتباع الطريقة الثانية على الاقل كمرحلة ضرورية للطريقة الاولى . واصبح طلابي من الجرأة والشجاعة الكافية في التعبير عن افكارهم بصوت عالي ويتشاركون فيها مع الاخرين.

عملها الاخير كان عبارة عن ترجمة لعمل فيلسوفة اسبانية عاشت في القرن السادس عشر كتبت كتابا حول الطب ،وانجزت ايضا قبل فترة وجيزة بحثا حول موقع هيلواز الفلسفي بالمقابل مع ابيلارد - كلاهما من العصر الوسيط - وكان ابيلارد هو معلم هيلواس ولاحقا زوجها ثم راعيها الديني - ساعد الى هذه الواقعة المشهورة لاحقا - وقد استمتعت كثيرا باكتشاف وجهات نظرهم من مراسلاتهم المكتشفة مؤخرا واعمالهم المنشورة .

وسيكون عملها المستقبلي حول فيلسوفة فرنسية عاشت في القرن السابع والثامن عشرين "ولمب دي كونت" ، وكانت اعمالها تدافع بقوة عن حقوق السود في ذلك الوقت المشرع للعبودية ،حقيقية اود ان اعرف لماذا ؟ أنا لا أعلم تاريخ الفلسفة بدون ان اشير الى مساهمات النساء وغير البيض في هذا التاريخ."٢

- لكنها بخلاف الاخرين او مما هو شائع في الدرس الفلسفي التقليدي حيث يتم التركيز على الشخصيات المعروفة في هذا التاريخ ،فإن المؤلفة تتحرك علي حافات التاريخ المغيب للفلسفة ان صح التعبير ،التاريخ المهمش .فهي لا تكثرث للتاريخ (الرسمي) سواء الذي دونه الفلاسفه عن اعمالهم ونشاطاتهم ،والذي تقو ح منه في الغالب رائحة السيطره والكبرياء والادعاءات المتحيزة ،او الذي كتبه المتخصصين من كتاب تواريخ الفلسفة او واضعي الموسوعات والمعاجم المتخصصة .

انها تذهب الى الهوامش من هذا التاريخ الى المسكوت عنه والذي لم يدونه التاريخ الرسمي . فبحث ايلين يحاول ان يعيد صياغة المعايير من جديد او على الاقل محاولة تنقيحها ،المعايير التي على اساسها كان يعد مفكرًا ما فيلسوفا محترفاً ، وبالتالي يسمح له بالدخول الى حضيرة الفلاسفة المحترفين .

وهذا العمل متميز بنقده لأنه لم يسبق لأي من الحركات الفلسفية المعاصرة أن التفتت إلى هذا الأمر ، أو أنه على الأقل كان أحد مشاغلها .

وحتى مابعد الحداثة كانت تسير في ذات الاتجاه "الذكوري" والذي لم يعد موجودا الان - كما اعتقد - وذلك بتأثير الحركات النسوية التي حولت الحس المابعد حدائي بالاختلاف الى حس جذري وجردت طبيعة الفصل

بين الخاص والعام في الكتابة التاريخية وبين الشخصي والسياسي . ومع ذلك ظلت هناك مقاومة مهمة لاي مطابقة ما بين المابعد حدثي والنسوي . "٣"

فقد كانت المعايير "المفتعلة" تتيح لمؤرخي الفلسفة عملية انتقاء اعتباطية للفلاسفة من بين مجموعة كبيرة من المفكرين وبالتالي اعتباطية من يحظى منهم باللقب المجلجل (فيلسوف) . فيصبح من العبث البحث في هذه الأعمال عن أسماء نسائية .

لكن عمل ميري ايلين يكشف بشكل جذري عن حضور النساء طوال تاريخ الفلسفة ، ليحطم بذلك عبودية الأستبعاد والاقصاء التي كانت تروج لمقولة ان الفلسفة كانت وما زالت تتضمن بعداً يجعلها حكراً على الرجال فقط .

اذ انها تقوم بعملية (تجريد - Doxification - De) وتعرية المزاعم المتأصلة في تدوين تاريخ الفلسفة ، والمصطلح - Doxy - يعني ان هناك عقائد ثابتة وجامدة او "طبيعية " لا يمكن تغييرها فأذا اضفنا اليه السابقة - De - فانه يعني اننا سنقوم بتعرية ونقد هذه العقائد ونجريدها من "طبيعتها " المزعومة لتبدو لنا في النهاية امامنا بأنها ليست سوى ايديولوجيات من صنع البشر حول البشر "٢"

ان المابعد حدثي يكون تدخله عاملاً حاسماً في تعرية هذه المعتقدات الراسخة ، لانها في المقام الاخير عبارة عن شكل من اشكال السرد وقد تجمدت بالممارسة الايديولوجية ، وبالتالي فإنها ربما تشكل واحدة من السرديات الكبرى - grand narrative - التي يعمل الفكر المابعد حدثي على تفكيكها .

واتضح للباحثات ان سر هذ النظرة المتحيزة التي سادت طوال تاريخ الفلسفة الغربية هي بالاساس ترجع الى ما قبله ارسطو من اراء حول المرأة اصبحت هي المرجع طوال هذا التاريخ مثلما كانت بقية ارائه .

فقد وضع ارسطو نظرية فلسفية حول المرأة تستمد دعائمها الاساسية من الميتافيزيقا ، ثم يطبقها في ميدان البيولوجيا ، و السياسة والاخلاق . ان الصورة التي رسمها ارسطو عن المرأة بالغة الاهمية و ذات اثر هائل فقد ترسبت في اعماق الثقافة الغربية ، واصبحت هي الهادي والمرشد عن النساء في الثقافة الغربية بصفة عامة . "٤"

ان فلسفة ارسطو مبنية على عدد من المبادئ الميتافيزيقية التي لا يحيد عنها في كل مؤلفاته منها هيراركية (تراتبية) الكون وكل ما فيه من موجودات من الأدنى الى الأعلى ، (الصورة والمادة ، والوظيفة) . فاذا كانت الهيراركية سائدة في الكون اجمع فانه من الطبيعي ان تسود في الموجودات البشرية ايضا ، فلا بد ان تكون هناك مراتب وموجودات يعلو بعضها بعضاً على نحو ما هو قائم في الكون تماماً .

ان جميع الموجودات هي في خدمة الانسان لانه اعلاها لانه يتربع على قمة التسلسل الهرمي للموجودات تحت فلك القمر .

ان الطبيعة هي التي رتبت الامور على هذا النحو ،وهي التي حددت لكل موجود وظيفته التي يخدم بها الموجود الاعلى ، وهكذا كانت النساء "بالطبيعة" ادنى من الرجال وكانت وظيفتها خدمة الرجال ،ولهذا كان من الطبيعي ان يحكمهن الرجال ،وكل هذه الامور تجري وفقا للطبيعة ،وليست بالعادات ،والعرف ،والثقافة .وحتى ان كانت هذه الاوضاع نتاج للعادات فانها مع تكرارها تتحول الى طبيعة . ومن هنا كانت معارضة ارسطو العنيفة للسوفسطائية التي ذهبت الى ان جميع الاوضاع الاجتماعية ومنها القيم الاخلاقية ،انما هي وليدة العرف والثقافة "٢"

ان دونية المرأة هي صدى لافكار ارسطو الميتافيزيقية عن الهيراركية والوظيفة ،والصورة والمادة ،فالمرأة هي "هيولى" فهي لا تقدم في عملية الانجاب سوى المادة الخام في حين ان الرجل هو الذي يعطي الصورة التي تبعث الحياة في هذه المادة .وحيث يكون المولود انثى فان هذا انحراف في الطبيعة ، ان المرأة هي رجل غير مكتمل انها "تشوه خلقي" "٣"

ويسخر رسل من رأي ارسطو: ان المرأة ناقصة عقل لان اسنانها اقل من اسنان الرجل . ويقول: ان ارسطو بالرغم من انه تزوج مرتين فانه لم يتجشم عناء البحث في فهم احدى زوجاته ليتأكد من ذلك .

لقد قدمت اراء ارسطو ونصوصه حول المرأة مبررا قويا لفيلسوفات المساواة بين الجنسين في الهجوم عليه ،وعلى كل التراث الذي تبعه ،لكن هذا لم يعفي في نظرهن من سبقه وبالاخص افلاطون لانه يضع المرأة في بعض محاوراته في مرتبة ادنى وخصوصا محاوره "طيمائوس" والقوانين " على الرغم من معلمه ومثله الاعلى في الفلسفة "سقراط" كان للنساء دورا في تعليمه وباعترافه هو .

وحتى "كانت" لم يسلم من هجومهن بل ايضا رأى في كتاباته تحيزا وتمييزا واضحا بشقية ،الجنسي ،والعنصري تجاه النساء . "٥"

والحقيقة اني لاجد الامر غريبا من أن الأساطير القديمة كانت دائما تقرن المعرفة والحكمة بالمرأة ،وفي ذات الوقت تحط من مكانتها بشكل سافر . فنحن نجد مثلا في تراثنا السومري بأن المرأة هي التي تعرف الاسرار ،فقد تجاهل كل كالمش تحذير (سيدوري) صاحبة الحانة من عبور بحر الموت طلبا للخلود .فقد كانت (سيدوري) تعرف السر وقد كشفتها امام جلجامش ، الا انه كان مصرا على اتمام رحلته فلم تسقه سيدوري من خمرها وهي صاحبة الحانة ، لذا فشل جلجامش في نيل الخلود . "٦"

وعلى عكس كل كاش كان صديقه (انكيو) وهو مخلوق من قطعة صلصال، عملته الاله بيدها، وورمته في السهوب، لا يعرف شعبا ولا وطناً، يقضم العشب مع الغزلان (برفقة قطيعه كان يرتاد المياه، ومع الحيوانات كان يرتوي)، إلا أن الغانية (شمخات) هي التي تجعله يعرف السر، وذلك بعد ان جامعتها لسته ايام وسبع ليال فتفتح عقله وصار صاحب نكاء، واخيرا قالت له الغانية انت عاقل يا انكيو غدوت مثل اله. "٣"

ويمكن تجميع شظايا كثيره من الاساطير ومن مختلف الحضارات تبدو فيها المرأة، مصدرا للحكمة، وحاملة اسرار المعرفة الصحيحة، ففي تراثا الديني الاسلامي هناك اشارة الى المرأة التي غلبت الملكين هاروت وماروت، فملكتم معرفة السر الاعظم، فصعدت به الى السماء، وتحولت الى كوكب الزهره. وهناك الكاهنات في فضاء الجاهلية قبل الاسلام. حتى نصل الى قمة الرمز المعرفي (حواء) التي هي اول من اكل من شجرة المعرفة المحرمه، فعرفت السر، سر الخلود الذي حولت به ادم الى الانسانيه. ان عملية المعرفة في الاساطير القديمه كانت تتم دائما عبر المراة.

ولا يمكن ان نتجاهل رمزية ان يكون لمعبد دلفي في اليونان القديمة كاهنة، وهي التي ذهب اليها سقراط فقالت له الكلمه الشهيره (اعرف نفسك). لكن هذه الرمزية لم تتحول الى انصاف للمشاركة الفعلية للمرأة في ميدان الفلسفة.

لذا فان المعلومات والوثائق التي قدمتها ماري في كتابها، تتضمن الكثير من الحقائق والأرقام المدهشه، حيث تخبرنا انه كانت هناك (16) فيلسوفة على الأقل في العالم اليوناني والروماني القديم، وفي المقدمة تاتي فيلسوفات المدرسة الفيثاغورية في القرن الخامس قبل الميلاد، مثل (ارغونت - Arignote) (ثيانو - Theano) وهي زوجة فيثاغورس التي حاولت تفسير عبارة فيثاغورس "العالم عدد ونغم" وقالت بتناغم الأدوار وخلودها. وعرفت أيضاً الفيلسوفتين ابنتيهما (دامو Damo)، التي درست طبيعة العدد والهارمونية أو العلاقات والنسب والرياضية بين الأشياء. و (ميا Myia) التي حاولت تطبيق الهارموني الفيثاغوري الكوني، في عالم الأسرة وتربية الطفل، وقالت بضرورة مراعاة الوسط في تربية الطفل، ولخصت بذلك تصور الاعتدال أو الوسط، وقد استبقت فكرة ارسطو الشهيرة في ميدان الأخلاق المسماة (بالوسط الذهبي). وتشير الباحثة الى ان هناك احتمال ان تكون واحدة من نساء المدرسة الفيثاغورية المتأخرات وهي (برستوني - prictione) ربما تكون ام افلاطون.

وقد كتبت ماري معلقة في المقدمة: اذ نحن اقتصرنا على النساء في المدرسة الفيثاغورية، فأنا لن نجد غير اختلافات ضئيلة جدا في طريقة تناولهن للفلسفة عن رفاقهن في نفس المدرسة. فقد كان كلاهما يبحثون في الاخلاق، والميتافيزيقا، والفلك، ونظرية المعرفة، وغيرها من ميادين البحث الفلسفي. فيصبح التجاهل والاقصاء مسألة ليست بريئة على الاطلاق.

لكن كم هي شحيحة المعلومات حول هؤلاء النسوة .المتاتي اصلا من الغموض الذي يحيط المدرسة الفيثاغورية كموضوع اشكالي في الفلسفة اليونانية .اذ من المعروف ان فيثاغورس لم يدون بنفسه شيئا من افكاره ،ولما كام اتباعه قد نسبوا اليه افكارهم الخاصة ،على سبيل الولاء ، فأن نسبة الافكار او تقييمها بالنسبة لهؤلاء النسوة ،هو من الصعوبة بمكان . وكدليل عرضي على التجاهل من قبل واضعي الموسوعات الفلسفية ، فأن موسوعة الفلسفة الصادرة باللغة الانكليزية بعشرة اجزاء لم تشر اليهن اطلاقا في مادتها حول فيثاغورس .

ومن أشهر فيلسوفات اليونان القديم التي عرفت برفضها لوضع النساء في ذلك المجتمع (اسبازيا) التي توفيت عام 401 ق. م . وكانت قد افتتحت مدرسة لتعليم الفلسفة والخطابه -فهي التي علمت سقرط البلاغة والخطابة- وشجعت بجرأة عظيمة خروج النساء من عزلتهن وحصولهن على تربية عالية ؛ والتحت بمدرستها كثير من فتيات الطبقة العليا ، و كان يحضر محاضراتها فلاسفة من بينهم بركليز وسقراط ،و أن بيتها كان منتدى للشخصيات الكبيرة في أثينا ، وان سقراط قال: بأنها هي التي علمته فن البيان ، وقد اتهمت بعدم تعظيم آلهة اليونان وقدمت للمحكمة التي برأتها بعد دفاع بركليز المجيد عنها ، في حين لم ينجو سقراط .وعادة ماتقدم (اسبازيا)باعتبارها هي من كتبت خطاب الرثاء في ماتم بركليز وهو مذكور افلاطون في محاوره (مينيكينوس -) وهي من محاورات الكهولة التي تعالج موضوع الخطابة والبيان - وتعد (ديوتيميا) وهي ايضا من معلمات سقراط من أشهر فيلسوفات اليونان ،وقد ذكرت في محاورات افلاطون السقراطية. عاشت حوالي عام 400 ق . م . ، وقد ذكرت في محاوره (المأدبة) على لسان سقراط، والدور الذي لعبته في درء خطر الطاعون عن أثينا ، كما جاء على لسانه في تلك المحاوره " من أجل هذا يا ديوتيميا سميت إليك فأنا في حاجة إلى معلم " ، كما اشتهرت بفلسفتها في الحب ، وذكرها كلمنت السكندري في مؤلفاته."٦"

وهناك فيلسوفة يونانية شهيرة هي (هيبارشيا -Hipparachia) المولودة سنة ٣٤٦ ق.م.من عائلة ارسقراطية و التي عرفت بفضولها المعرفي وضيقتها بالاعمال التقليدية المنوطة بالمرأة في المجتمع اليوناني القديم ، وكان فضولها نحو الفلسفة اتى من ان لها أخ كان يدرس فلسفة ارسطو في اللوقيون وكان معلمه هو ثيوفراطس وكان هذا المراهق الصغير غير سعيد بوجوده في اللوقيون ،لذا فقد انتقل للدراسة مع "الكليبين" وبالاخص مع "كريتوس" وكانت اخته مواكبة له طوال دراسته ،ومن هنا نشأ تعلقها بالفلسفة ، ومن المعروف عن "الكليبين" برمهم بالتفكير النظري ، وانهم فقط ينشدون السلوك الذي يفضي الى اكبر قدر من السعادة ، ولم تكني هباشيا بالاعجاب بفلسفة الكليبين ، بل انها وقعت في غرام معلم اخيها "كريتوس" بالرغم من انه كان رجلا عجوزا ،وسوء السمعة . لكنها بالرغم من ذلك تزوجته واصبحت ترافقه علنا ،ضاربة عرض الحائط بكل

اعتراضات عائلتها . محاولة الافكار الى سلوك عملي من خلال تحديها للثقافة والسياسية اليونانية التي كانت سائدة و يمكن ان نصف سلوكها بالثورية انطلاقا من هذه الجراءة ، وقد دخلت في مناظرة مع "ثيودورس" وهو احد معلمي الفلسفة في ذلك الوقت وتغلبت عليه ولم تكن خجلة من دفاعها عن سلوكها وافكارها ، واحتقارها للوضع التقليدي للمرأة الاثينية . "٧"

أما في الفترة من 500-1600م وهي الفترة التي تشمل العصر الوسيط وبداية عصر النهضة، فتحصي ماري في كتابها (١٧) فيلسوفة، فمن فيلسوفات العصر الوسيط، (جوليا) : فيلسوفت سوريا.

عاشت (جوليا دونا ١٧٠-٢١٧م) أو جوليا الفيلسوفة كما يطلق عليها مؤرخو القرن الثالث الميلادي في سوريا وتحديدا في مدينة "حمص" وهي تنحدر من عائلة دينية عالية المقام ،تعبد الشمس ؛لكنها اصبحت زوجة لامبراطور روما (سفيروس سنة -١٩٣م) وكانت تشاركتة في إدارة الدولة. أنشأت جوليا حلقة ثقافية ضمت فلاسفة من مدارس مختلفة ،لكنها لم تعرف من هذه الناحية بل عرفت عند المؤرخين باعتبارها الامبراطورة اذ كانت صورتها تسك على العملة الرومانية . لكن حقيقة انها اعادت للفلسفة حضوتها السابقة بعد ان نكل نيرون بالفلاسفة ، وكان اهتمامها منصبا على الرياضيات والفلاسفة والفيلسوفين والتنجيم، الذي اخبرها انها ستزوج ملكا وهذا ماكان .

وحين تحولت الامبراطورية الرومانية الى المسيحية ، سادت ثقافة المساواة الى حد ما ، اذ نجد ان جميع المصادر في المسيحية المبكرة تتحدث عن ان المرأة مساوية للرجل روحيا فلذا فيس مفاجئا لنا ان تتسهم المرأة في هذه الفترة مناصب قيادية او انخرطها في التعليم او الادارة حالها حال الرجال . وبرزت في الفترة من 330.389م اثنين من النساء كأمثلة اساسية لهذه الثقافة عرفن بذات الاسم هو (ماكرينا Macrina-) لكن يجب التميز بينهما اذ الاولى هي الجدة وتسمى ماكرينا الكبرى Elder والثانية هي ماكرينا الصغرى - younger وهي حفيدتها .

والعائلة معروفة في التأريخ المسيحي باعتبارها عائلة قديسين . فقدكان هناك ستة قديسين في هذ العائلة .وعرفت الاولى منهن بتعليمها الممتاز واستشاراتها السديدة ،لكن لم يصلنا شيء من كتاباتها الفلسفية ،وكل مانعرفه عنها اتنا عن طريق مادونه احد احفادها عنها ،ويخبرنا هذا الحفيد انها كتبت فلسفتها على شكل محاورات ومن أشهر محاوراتها محاوره (النفس والقيامة) ، ونادت بالمساواة بين الرجل و المرأة قائلة: " جوهر النفس هو قدرتها على التفكير العقلي ولا فرق في ذلك بين الرجل و المرأة .. " ، وقد دافعت كغيرها من فلاسفة العصر الوسيط المسيحيين عن نظرية البعث والقيامة ، وعرفت بالزهد والتسك. "٨"

لذا فانها تعد اليوم في الكنيسة المسيحية كراعية للارامل وشفيعة للفقراء ،وهناك عيد باسمها في شهر ١٢ من كل سنة .

اما (هيباشيا-Hypatia) فيلسوفة الإسكندرية التي ولدت عام 370م ،وكان ابوها محبا للفلسفة ومديرا لمتحف الاسكندرية . وأدرجت في دائرة المعارف البريطانية باعتبارها فيلسوفة مصرية . اشتهرت كعالمة في مجال الرياضيات ،وعينت في المتحف برغم اختلاف دينها عن الدين الرسمي للدولة فهي يونانية الديانة- اي وثنية- ، والدولة مسيحية وكانت هذه الفترة شهدت توترا بين المسيحية والديانات اليونانية والرومانية القديمة لكنها حضيت باحترام الجميع نظرا للاقبال الكبير الذي كانت تشهده محاضراتها لما تتمتع به من مهارة في التبسيط ،ولو ان هذا الامر لم يستمر طويلا . كانت تدرس وتلقي محاضرات عن مذهب أفلاطون وأرسطو واصبحت رأس مدرسة الافلاطونية الجديدة في الاسكندرية ، مما جلب لها معاداة رجال الكنيسة بدعوى نشر أفكار ضد المسيحية . وفي مارس 405م اعترض طريقها مجموعة من رهبان المتعصبين واخرجوها من عربتها وجروها إلى كنيسة قيصرين ، حيث قام الرهبان بتجريدتها من ملابسها وتقدم احد الرهبان بذبحها عارية، ثم قامت مجموعة أخرى من الرهبان بتقطيع جسدها العاري الى أشلاء وكشطوا اللحم عن العظم ،ثم اخذوا اعضائها المقطعة واحرقوها عند شارع سينارون في الاسكندرية."٩

ونعود مرة أخرى الى (هيلواز) عاشقة الفلسفة وعاشقة معلمها في ذات الوقت الفيلسوف "ابيلارد"، فقد كانت هناك قصة حب صاخبة بينهما اذ كلف بتعليمها الفلسفة ، لكنه وقع في غرامها واقنعها بالفرار معه من الدير ،و قبض عليه اخوتها فيما بعد والقي به في السجن بعد ان اخصوه فكتب وهو في السجن (تاريخ نكباتي) لكنه تزوجها في النهاية ،وقد قامت ماري الين بتحقيق واصدار الرسائل المتبادل بين هذين الفيلسوفين العاشقين وهي رسائل لم تعرف من قبل . اما في الفترة من 1600 - 1900وهي الفترة التي يغطيها الجزء الثالث من كتابها فان ماري الين تشير الى وجود اكثر من ثلاثين فيلسوفه.

أما في القرن العشرين فقد تبين أنه من بين (14) فيلسوفا معترفاً بهم كفلاسفة محترفين وذلك وفقا للمعايير المتداولة للتصنيف عند مؤرخي الفلسفة ، توجد ثلاث فيلسوفات يصعب علينا ان ننكر أنهن على درجة كافية من الاحتراف . وهن كل من (ماري ولستون كرافت)،(وحنه أرندت)،(وسيمون دي بوفوار). لكن قولنا انهن محترفات لايعني ان يتم أدراجهن ببساطة في كتب تاريخ الفلسفة او في المقررات الدراسية في اقسام الفلسفة في الجامعات المختلفة وينتهي الموضوع ، بل هي دعوة الى المساواة بين الجنسين في الفلسفة والالتفات الى المسكوت عنه في هذا التاريخ .

ولبيان مدى التحيز والتسلط الرجولي على الفلسفة أو لنقل بكلمة أوضح الانحياز الرجولي نذكر إن الموسوعة الفلسفية التي صدرت عام 1967 في خمس مجلدات كبيرة وتضم عشرة أجزاء ، تضم ما يقارب 900 مدخل عن الفلاسفة، فإنه لا توجد مقالة واحدة من بين هذه المقالات من تناولت أيّاً من الفيلسوفات الثلاث المشار اليهن قبل قليل ، بل ان فهرست أعلام الموسوعة لا يتضمن أي إشارة سواء الى سيمون دي بوفوار ، أو ولستون كرافت في كل اجزاء الموسوعة باستثناء إشارة صغيرة الى حنة أرندت في مقالة تناولت مفهوم السلطة وهو الميدان الذي برعت فيه أرندت . " ١٠ "

وقد لاحظت إحدى الباحثات ان الفيلسوفات المشار اليهن اعلاه وهن الأكثر حضا في قبولهن في نادي الفلاسفة المحترفين . لا يمتلكن رؤية مؤحدة تجاه هذا الموضوع ، فقد كانت حنة أرندت تشكل موضوعا استفزازيا بالنسبة للمناديات بالمساواة بين الجنسين وذلك لأنها كانت تنتقد هذه الحركة اصلا ، بينما ولستون كرافت وبوفوار منخرطات فعليا في هذه الحركة . فقد كانت ولستون كرافت تدافع عن تعليم المرأة متخذة مبادئ عصر التنوير كمرجعية لها . في حين كانت بوفوار في كتابها (الجنس الثاني) تعكس جذورها الماركسية والوجودية . " ١١ "

واذا ما تجاوزنا معايير واضعي الموسوعة والتفتنا الى المراجع التي تهتم بتاريخ الوجودية أو الفلسفة السياسية مثلا ، لرأينا انه غالبا ما يتم ادراجهن على استحياء وأحيانا بصورة هامشية . " ٢ "

لذا فان هذا العمل لا يدعو الى المساواة بين الجنسين في الفلسفة فقط ، بل ويدعو الى تغيير المعايير المتبعة في تدوين تاريخ الفلسفة جذريا . انه تصحيح لموقف خاطيء يتداول بشكل "طبيعي " في الاوساط الاكاديمية . انه عمل أصيل حقاً ، حيث أسس وبقوة لمقولة حضور النساء في الفلسفة بالرغم من الاقصاء الروتيني والمتعمد لهن من قبل مؤرخي الفلسفة وواضعي موسوعاتها ،

لانه ان كان يبدد وهما جميعاً عن تاريخ الفلسفة ، فإنه وبالدرجة ذاتها يبدد وهم الفلسفة عن نفسها بأنها فعالية رجالية محضة ، وأنه لا حضور للمرأة فيها ، ولا حتى في المواقع الخلفية ، بدعوى إن المرأة لا تكثر في السعي في طلب الحقيقة ، لأنها لا تستطيع ان تمتلك ناصية "الموضوعية " والرجال وحدهم هم محبو الحكمة "والموضوعيون جدا " . وهذا تصور فضلا عن انه خاطيء تماما فإنه مؤذ وجارح خصوصاً بالنسبة الى اللواتي يطمحن ان يكن فيلسوفات .

يا ترى لو قمنا نحن العرب بمثل ما قامت به ميري ايلين من التفتيش في تاريخنا ومخطوطاتنا ، فهل نعثر على (فيلسوفات) أو (فقيحات) أو (مؤرخات) تم نفيهن واقصائهن عمداً ، لتبقى فقط الصورة النمطية ، الطافحه

من الغالبية العظمى من كتب تراثنا ، وهي الصورة التي تدعمها الكثير من الآراء التي تؤدي الى تكريس
دونية المرأة في المجتمع الاسلامي . وهي صورة القيان ، والجواري والمحظيات . ناقصات العقل .

هوامش البحث

١ - العنوان الكامل لكتاب ماري الين باجزائه الاربعة هو :

: Mary Ellen Waithe

- History of Women Philosophers:
Volume 1, "Ancient Women Philosophers" (published in 1987) covers- from 600 BC-to.500 AD.

- History of Women Philosophers:
Volume II, "Medieval, Renaissance and Enlightenment Women Philosophers" (published in 1989) covers the period from; 500-1600

-Volume III, "Modern Women Philosophers" (published in 1991) covers the period 1600-1900,

- Volume IV, "Contemporary Women Philosophers" (published in 1995) covers from 1900-today .

وعملت مؤخرا بالتعاون مع معهد CD- IMS

لهذا العمل يتضمن مؤثرات صوتية وبصرية واشياء اخرى كثيرة وليس مجرد نص رقمي للعمل . والكتاب متوفر على موقع
<http://www.amazon.com/gp/reader/k> الامازون :

٢- Hypatia. Vol.4.N.1.1989.P.155.published by Blackwell.

والمجلة باعدادها المختلفة متوفرة على موقع المكتبة العراقية الافتراضية العلمية التي انشنتها وزارة التعليم العالي .
عنوان الموقع على الشبكة هو: www.ivsl.org

٣ - المعلومات السابقة عن المؤلفة مأخوذة من موقع كلية الفنون الحرة والعلوم الاجتماعية وهو :
CSU Faculty Profile. E:/detail.cfm.htm

٤ - ليندا هتشيون ، سياسة مابعد الحداثة ، ت، حيدر حاج اسماعيل ، المنظمة العربية للترجمة ط١.بيروت ٢٠٠٩ ، ص٢٧٩.
٥ - المصدر نفسه، ص ١٧-١٨ .

٦ - Susan G. Woman from the Greeks to the French revolution .p.17 والنص مأخوذ من كتاب امام عبد الفتاح
امام ، ارسطو والمرأة ، ص٧ ، مكتبة مبدولي ، القاهرة ، الطبعة الاولى . ١٩٩٦ .

٧ - امام عبد الفتاح امام ، ارسطو والمرأة ، ص٢٩ .

٨ - برتراند رسل ، تاريخ الفلسفة الغربية ، ج١ ، ت : زكي نجيب محمود ، لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٨ ط٣ . ص ٢٦٤

٩ - انظر موقع - Stanford Encyclopedia of Philosophy على الانترنت ، مادة، Feminist، History .

١٠ - ديوان الاساطير - سومر واكاد واشور ، ترجمة قاسم الشواف ، دار الساقى ، بيروت - ط 1 الجزء الرابع ، ص389-

١١ - ديوان الاساطير 4-281-284

MARY ELLEN , AHISTORY ---, VOL.1,PP.60-40. ^٦

Ranft, Patricia. A Woman's Way. New work .1994.p.26 . -٢

MARY ELLEN , AHISTORY ---, VOL.11,PP.121-30.- ^٨ •

^٩ - زكي نجيب محمود ، في مفترق الطرق ، ص ٥٨ ، دار الشروق ، ١٩٩٥
^{١٠} - الموسوعة المقصوده هي :

The Encyclopedia of philosophy- Macmillan company ,New York ,1967.
في طبعتها الثانية التي صدرت سنة ٢٠٠٦ - اذ اشارت في الدعاية الاعلانية لها والمنشورة على موقع الموسوعة الالكترونية الى ان الطبعة الجديدة تتضمن مقالة عن مشاركة المرأة في الفلسفة و تتفرع من هذه المقالة عشرة مقالات فرعية.

Honig Bonnie. Feminist Interpretations of Hannah Arendt, the Pennsylvania state University -١
Press. 1995. P.57.

٢- كتاب جون ماكوري (الوجودية) الذي ترجمه امام عبد الفتاح امام والذي يؤرخ للوجودية بالتفصيل فيما يقارب 500 صفحة، لم يشر الى سيمون دي بوفوار ولو لمره واحده. بالرغم من انه كتب في ذروة نشاط سيمون الفكري في الستينات . صدر الكتاب في طبعته العربية في سلسلة عالم المعرفة الكويتية سنة ١٩٨٣ .